مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة العشرون – العدد 61 – 30-9-2024م

Volume 20th - issue no. 61 - 30/9/2024

Pages: 135 - 164 الصفحات: 135 - 164

التّأثر والتّأثير بين الثعلبي والواحدي من أوّل سورة المائدة إلى الآية الرابعة والثلاثين

بحث مقدم ضمن مقرر طبقات المفسرين ومناهجهم بمرحلة الماجستير

The Impact and Influence Between Al-Tha'labi and Al-Waahidi From the Beginning of Surah Al-Maa'idah Till The Thirty-Fourth Verse

A research presented for the course titled «Ranks of the Exegetes and their Methodologies» at the Master's degree level

الباحث الرئيس: د. أحمد بن محمد علي مصلوخ

الأستاذ المساعد في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

Lead Researcher: Dr. Ahmad bin Muhammad Ali Masloukh

Assistant Professor at the Department of Exegesis and Sciences of the Qur'an at the Islamic University of Madinah

الباحثون المشاركون: عبد الرزاق جعفر قويدر بن سالم، يوسف أحمد توغو،

عبد الرحمن الشتيوي عاشور الرابطي، فضل الرحمن محمد بدرون

Co-Researchers: Abderrazak Ja'afar Kouider Bin Salem, Youssef Ahmed Togo, Abdur Rahman Al-Shatawi Achour Al-Rabiti, Fadlu Rahman Muhammad Bedroun

E-mail: amasloukh@iu.edu.sa

اعتمادات

الباحث الرئيس:
د. أحمد بن محمد علي مصلوخ
الأستاذ المساعد في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

Lead Researcher:
Dr. Ahmad bin Muhammad Ali Masloukh
Assistant Professor at the Department of Exegesis and Sciences of the Qur'an
at the Islamic University of Madinah

E-mail: amasloukh@iu.edu.sa

الباحثون المشاركون:
عبد الرزاق جعفر قويدر بن سالم
يوسف أحمد توغو
عبد الرحمن الشتيوي عاشور الرابطي
فضل الرحمن محمد بدرون

Co-Researchers:
Abderrazak Ja'afar Kouider Bin Salem
Youssef Ahmed Togo
Abdur Rahman Al-Shatawi Achour Al-Rabiti
Fadlu Rahman Muhammad Bedroun

التّأثر والتّأثير بين الثعلبي والواحدي من أوّل سورة المائدة إلى الآية الرابعة والثلاثين

The Impact and Influence Between Al-Tha'labi and Al-Waahidi From the Beginning of Surah Al-Maa'idah Till The Thirty-Fourth Verse

بحث مقدم ضمن مقرر طبقات المفسرين ومناهجهم بمرحلة الماجستير

A research presented for the course titled «Ranks of the Exegetes and their Methodologies» at the Master's degree level

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز جوانب التأثير والتأثر في التفسير بين عَلَمين من أعلام علم التفسير، هما: أبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) وأبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨ه)، من خلال تفسيرهما، من أول سورة المائدة إلى الآية الرابعة والثلاثين من السورة نفسها، وذلك لمعرفة الفروق الفردية بين كل من المفسِّرَين، ولإبراز منشأ ومدى التأثير والتأثر بينهما، والسبب في

ذلـك، ولمعرفـة المنهج الذي سلكاه فـي تفسيرهما، وقد انتهج الباحثون في هـذا البحث المنهج الاستقرائـي الوصفـي، وتوصلـوا إلـى نتائج من أهمهـا: أن الواحـدي إذا قال فـي تفسيره: «قال المفسـرون»، فإنه يقصد شيخه الثعلبي، وأن كلاً منهما من كبار المفسرين الذين تأثر الناس من العلمـاء والعوام بتفسيرهمـا، وأنهما كانا شافعِيَي المذهب أشعرِيَـي المعتقد، وقد كثر الكلام في تفسيرهما عن الجانب اللغوي والفقهي، وقلّ من الكلام عن المسائل العقدية.

الكلمات المفتاحية: الثعلبي، الواحدي، التفسير، التأثير، التأثّر، المفسرون.

Abstract:

This research aims at highlighting the ways of impact and influence in exegesis of the Qur'an between two great scholars of Qur'an exegesis, they are: Abu Ishaq Al-Tha'labi (d. 437 AH), and Abu Al-Hassan Al-Waahidi (d. 468 AH), through their works on Qur'an exegesis, from the beginning of Surat Al-Maaidah till the thirty seventh verse of the Surah, in order to know the differences between both scholars, and to reveal the origin and the extent of the impact and influence between them and the reason for it, and to know the methodology they followed in their exegesis. The researchers followed the inductive descriptive methodology, and concluded on certain findings of which the most significant include: That whenever Al-Waahidi says in his Tafseer: «The exegetes say», he meant his teacher Al-Tha'labi, and that both of them are among the great scholars of the Qur'an exegesis that influenced subsequent scholars and the laymen with their exegesis, and that both were Shafi'I in Fiqh and Ash'ari in creed, and that there was an extensive talk about the linguistic and jurisprudential parts in their exegesis and there was dearth talk in both works about creedal issues.

Keywords: Al-Tha'labi, Al-Waahidi, exegesis, impact, influence, exegetes.

المقدمة

الحمـد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل لـه عوجًا، ثم الصلاة والسلام على سيد المرسليـن، سيدنـا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبـه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

قـال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

وقـال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا

كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء:١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٠].

أما بعد:

فإن من نعم الله وفضله على عباده أن أنزل إليهم الكتاب، وأرسل إليهم الرسل، وجعل الرسول مبينًا لكتابه ما أودع فيه من علوم جمة، وحِكَم باهرة، وجعل طريق معرفته طريقًا إلى الجنة، وإن من أشرف العلوم علمَ طبقات المفسرين ومناهجهم؛ لاتصالها بكتاب الله تعالى الذي عجز الخليقة عن الإتيان بسورة من مثله، وسهُل على الخلق مع إعجازه تلاوتُه، وفهمه، والعمل به، كما أرشدنا إليه القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة القمر:١٧].

ولا شك أن علم التفسير الذي هو بيان معنى كلام الله من أجلِّ العلوم وأشرفها، ولقد اشتغل العلماء بهذا العلم، فألفوا فيه مؤلفات عديدة، ما بين مطوّل ومختصر وتنوُّع اختلاف مناهجهم، واتجاهاتهم، وطرق تفسيرهم.

ومن هؤلاء الأعلام الذين ركضوا في غمار تفسير كلام الله سبحانه، ناقلين ذلك عن سلف الأمة، مستنبطين مما أفاء الله عليهم من العلوم والفهم أئمة الهدى:

الأول: أبو إسحاق أحمد الثعلبي ت (٤٣٧هـ.) في تفسيره «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».

وقد اهتم الثعلبي في تفسيره بالإسناد أيما اهتمام حيث يتأكد من صحة نسبة القول لقائله، ليتمكن القارئ الملهم بالترجيح بين الروايات والأقوال المتعارضة، كما اعتمد في تفسيره على عدة مصادر متنوعة ذكرها في مقدمة تفسيره. وبعض هذه المصادر في عداد المفقودات أو من المخطوطات، وهذا يعطي للكتاب مكانة عالية تحتضن على مصادر نادرة في التفسير وعلومه.

الثاني: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) في تفسيره «البسيط» كتب في التفسير ثلاثة كتب وهذا من أكثرها توسعاً؛ فأكثر ولوّن وبسط وأوجز وجمع وحقق واشتهر ثناء العلماء عليها، وتداولها أهل العلم واستفادوا منها، فأفادوا وانتفعوا وصار مرجعًا لكثير من المفسرين بعدهم.

قال عن نفسه في مقدمة كتابه البسيط «وأظنني لم آلُ جهدًا في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري، على قلة أعدادها فقد وفّق الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه وأخذته من معدنه»[1]

هذان التفسيران جمع فيهما فنونًا عديدة من العلوم الإسلامية؛ من أحاديث الرسول ﷺ

(١) التفسير البسيط (٢٦٩)

بالإسناد، وآثار السلف، وأسباب النزول، والإسرائيليات والأحكام الفقهية، والقراءات، وغير ذلك من العلوم مما جعل هذه الكتب مرجعًا مهمًا وموئلًا لأهل العلم، ينهلون منهما وينقلون عنهما ما بين مكثر في ذلك ومقل.

فبناء على ذلك تتبّع الباحثون هذين التفسيرين في إبراز مكانتهما ومدى تأثّر بعضها ببعض: جمعًا ودراسة، وقد سماه الباحثون بـ: «التّأثّر والتّأثير بين الثعلبي والواحدي من أول سورة المائدة إلى الآية الرابعة والثلاثين» جمعًا ودراسة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره من عدة وجوه، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

شرف هذا الموضوع لتعلقه بكتاب الله، وجدته.

توضيح مدى التأثر والتأثير بين هذين التفسيرين ومنشأ ذلك.

أن هذين التفسيرين من أجلّ التفاسير وأعظمها شأنًا؛ بذل فيهما المؤلفان جُهدَهما من أجْل خدمة كتاب الله تعالى، وقد استفاد منهما طلاب العلم والعلماء بعدهم.

شهرة مؤلفاهما وعلو قدرهما عند العلماء، ويظهر ذلك عند قراءة ترجمتهما في كتب التراجم كما سيأتي بيانه.

كثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في هذين التفسيرين؛ مما يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليهما، والإفادة منهما، وبذل الجهد في ذلك.

تفرد كل منهما بمميزات خاصة ونفائس ثمينة ودرر لامعة.

استفاد منهما الباحثون، ونظروا فيهما من جوانب عديدة كالفقه، والأسانيد، واللغة والقراءات، وغيرها من العلوم النافعة؛ فأراد الباحثون إبراز مدى التّأثر والتأثير بينهما في تفسير كلام الله تعالى.

تعلُّق هذا الموضوع بدراستنا في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، ومن ضمن متطلبات مقرر طبقات المفسرين.

الرغبة في الاطلاع على ما كتبه العلماء والباحثون حول هذين الكتابين ومؤلفوهما ومدى ارتباطهما بالآخر تدريجيًا.

قلة الكتابات حول الموضوع. فلم يصل إلى حد علمنا دراسة هذا الموضوع من قبل كما سيأتي بيانه في الدراسات السابقة.

الدراسات السابقة:

بعد رجوعنا إلى أوعية البحث ومحركاته، تبين لنا أنه لم يسبق أن بحث هذا الموضوع، وفق

المنهـج الذي سلكه الباحثون، والذي يتناول التّأثـر والتّأثير بين هذين الكتابين وارتباطهما جمعًا ودراسـة في سـورة المائدة، إلا أنّ هناك بعض الدراسات لبعضها صلـة مباشرة ببعض جزئيات الموضوع، ويمكن الاستفادة من مباحث أخرى وإن كانت بعيدة عن الموضوع، وهي كالتالي:

التّأثـر والتأثير بين المعنى والصنعة النحوية عند ابـن جرير الطبري في تفسيره، للباحث: عبـد الله بن محمد بن جار الله النغيمشي بحث محكم تحـت إشراف: الرابطة المحمدية للعلماء -مركز ابن أبي الربيع نشرت عام ٢٠١٥م.

فـي هـذا البحث يبرز المؤلف مـا بين المعنى والصنعـة النحوية من تلازم مـع إيراد أمثلة تطبيقية لما يقوله في ذلك.

علوم القرآن والتفسيـر بين التأثر والتأثير في القرون الثلاثة الأولى دراسة وصفية تطبيقية رسالـة علمية مقدمة لنيل الدرجة العلمية (الدكتـوراه) للطالب: محمود فتحي محمد عبد الجليل -تحـت إشراف الدكتور المثنى بن عبد الفتاح محمود -ونشـرت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤٤١هـ).

وهـي عبـارة عن جمع مصطلحات علوم القـرآن والتفسير، ومدى تأثـر بعضهما ببعض في القرون الثلاثة الأولى مع إيراد أمثلة تطبيقية لها.

الإسرائيليـات فـي تفسير الثعلبـي: رسالة علمية قدمـت لنيل الدرجة العلميـة (الدكتوراه) للطالـب: إيمـان أحمد أبشر بابكر -جامعـة أم درمان الإسلامية عـام ٢٠١٣م. ملخص الرسالة: القضيـة الجوهرية التي تناولها هـذا البحث هي دراسة الإسرائيليات في تفسير الثعلبي، في بحث علمي محكم.

المسائـل التـي خالف فيهـا التابعون الصحابـة في تفسير سـورة البقرة من خـلال تفسير الثعلبـي: دراسة استقرائية-رسالة علمية قدمت لنيل الدرجة العلمية الماجستير -للباحث: محمد أكـرم حمد عريق -تحـت إشراف الدكتـور: هارون نـوح القضاة-نشرت في الجامعـة الإسلامية العالميـة ماليزيـا عام ٢٠٢١م. تهدف الرسالة إلى بيان مسائـل الخلاف بين الصحابة والتابعين في تفسير سورة البقرة عند الإمام الثعلبي.

الأحاديـث والآثـار الواردة فـي كتاب تفسيـر الثعلبي المسمـى بالكشف والبيـان في تفسير القـرآن من سورة الفاتحة إلى آية ١٩٣من سـورة البقرة تخريجًا ودراسة -بحث مقدم لنيل درجة الماجستير -للطالب: فطريادي إلياس محمد داود الآتشي -تحت إشراف الدكتور: موسى أحمد.

منهـج الإمامين الثعلبي والواحدي فـي توجيه القراءات القرآنيـة المتواترة في تفسير جزء عم: دراسة مقارنة-للدكتوراه: فاطمة سعد النعيمي-بحوث ومقالات.

منهـج الواحدي في تفسير القرآن في كتابـه «التفسير البسيط» دراسة تطبيقية على سورتي الرعـد وإبراهيـم -للباحـث: ناصر بن محمد بن حمـد المنيع -جامعة الميناء -بحوث ومقالات

-نشرت عام ٢٠٢١.

الواحـدي ومنهجه في تفسيره البسيـط -للمؤلف: عمر إبراهيم رضـوان الأستاذ المساعد بقسـم القـرآن وعلومه جامعة المدينـة العالمية -ماليزيا بحث محكم -نشرتـه الجامعة العالمية بماليزيا -عام ٢٠١٢م

اختيـارات الواحدي فـي التفسير من خلال كتابه الوجيز: جمـع ودراسة وتوثيق الأجزاء من ١٩-٢٤. -رسالة مقدمة لنيل الدرجة العلمية (الدكتوراه) للطالب: محمد التوم خالد تحت إشراف البروفسير/عمر يوسف حمزة -جامعة أم درمان عام ٢٠٠٨م

قضايا اللغـة والنحو في تفسير الواحدي الموسوم ب الوسيط: دراسة تحليلية-رسالة علمية قدمـت لنيل درجـة الماجستيـر -للطالب: أحمـد حسـن العروسي-جامعة صنعـاء -نشرت عام ٢٠٠٤م.

الإضافات العلمية:

إن أبرز الإضافات العلمية لهذا البحث ما يلي:

- معرفة فروق فردية بين كل من المفسرَيْن.
- إبراز منشأِ التأثر والتأثير بين العلماء.
- معرفة المنهج الذي سلكاه في تفسيرهما.
- معرفة مدى التأثر والتأثير بين هذين التفسيرين والسبب في ذلك.

حدود البحث:

سيكون هذا البحث بعون الله تعالى منصبًّا على التأثر والتأثير بين الثعلبي والواحدي من أول سورة المائدة إلى الآية الرابعة والثلاثين.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحث واحد تحته أربعة مطالب، وخاتمة، وفهارس، وفق الترتيب الآتي:

المقدمة.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التأثر والتأثير.

المطلب الثاني: ترجمة العلمين.

المبحث الأول: جوانب تأثر الواحدي بالثعلبي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الجانب العقدي.

المطلب الثاني: الجانب اللغوي.

المطلب الثالث: الجانب الحديثي.

المطلب الرابع: الجانب الفقهي.

الخاتمة

المصادر والمراجع.

الفهارس.

منهج البحث:

وقد انتهج الباحثون في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، حيث ابتدأ بتتبع تفسيرهما، ومـدى تأثر أحدهما بالآخر، والفروقات الفردية بينهما وتقييد هذه المواضع، واستقرائها ووصف منهجهما وأسلوبهما والقواعد التي استندا إليها في الترجيح وغير ذلك.

وقد حرص الباحثون على اتباع منهجية كتابة البحوث الأكاديمية وفق النقاط التالية:

عزو الآيات القرآنية بذكر سورها ورقم آياتها.

تخريـج الأحاديـث الواردة في البحث مختصرًا؛ فما كان منها فـي الصحيحين أو أحدهما، فاكتفينـا بذلك، وإن كان الحديث في غيرهما خرجناه مـن مظانه، ثم نذكر كلام المحدثين عنه صحة وضعفًا.

توثيق النصوص التي نقلناها من مصادرها الأصلية.

عزو الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة.

مراعاة قواعد الإملاء، وعلامات الترقيم.

ضبط ما قد يشكل من الكلمات.

بيان المفردات الغامضة.

التعريف بالأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث اختصارًا.

خدمة البحث بالفهارس لتسهيل الاستفادة منه.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التأثر والتأثير والفرق بينهما.

الأثر: ما بقي من رسم الشيء، وسنن النبي ﷺ آثاره، ويقال لضربة السيف: أثره[١] والجمع آثار وأثور، وخرجت في إثره، وفي أثره أي: بعده؛ وأتثرته، وتأثّرته: تبعت أثره، وأثّر في شيء: ترك فيه أثرًا، والآثار: الأعلام، والأثيرة من الدّواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفّها، وحافرها، بينة الأثارة[٢].

والتّأثّر: هو ما يقع عليه فعل التّأثير، يقال: أثّرت فيه تأثيرًا؛ أي جعلت فيه أثرًا وعلامة فتأثّر، أي: قبل وانفعل[٣].

والتّأثير: هو إبقاء الأثر في الشّيء[٤] وذلك لأنّ الأثر ينشأ عن تأثير المؤثّر[٥].

والفرق بينهما هو أنّ التّأثر: هو الانفعال بقبول الأثر، ووقوعه عليه، والتّأثير هو فعل الأثر، وإيجاده في المتأثّر، فالتّأثير فاعل، والتّأثّر مفعول به، وواقع عليه فعل التّأثير[٦].

المطلب الثّاني: وهي عبارة عن ترجمة مختصرة للإمامين: وسأجعله في فرعين:

الفرع الأول: ترجمة الثعلبي

هو أبو إسحاق أحمد بن محمّد، المتوفّى سنة ٤٢٧ ـ إمامٌ كبير من أئمّة التفسير واللغة، وتفسيره من أشهر التفاسير عندهم:

قال الذهبي(٧٤٨هـ): «الثعلبي، الإمام الحافظ العلاّمة، شيخ التفسير، أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري، كان أحد أوعية العلم، له كتاب التفسير الكبير وكتاب العرائس في قصص الأنبياء، توفّي الثعلبي في المحرّم سنة ٤٢٧»[٧].

وقال عنه ابن خلّكان(٦٨١هـ): «المفسّر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير... وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به...»[٨].

وقال السبكي(٧٧١هـ.): «كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص

(١) مجمل اللغة لابن فارس ص ٨٦.
(٢) المحكم لابن سيده ١٠/١٧٣.
(٣) انظر المصباح المنير ١/٤.
(٤) الصحاح للجوهري ٢/٥٧٦.
(٥) الكليات للكفوي ص ٢٧٩.
(٦) ينظر: المصدر السّابق ص٦٨٣.
(٧) سير أعلام النبلاء – ١٧/٤٣٥-٤٣٧.
(٨) وفيات الأعيان ٠١/ص ٧٠-٨٠.

الأنبياء»[1].

وقال الإسنوي(٧٧٢هـ): «ذكره ابن الصلاح والنووي من الفقهاء الشافعية، وكان إماماً في اللغة والنحو»[2].

وقال الداوودي(٩٤٥هـ): «كان أوحد أهل زمانه في علم القرآن، حافظاً للّغة، بارعاً في العربية، واعظاً، موثّقاً»[3].

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية:» والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين...»[4].

شيوخه:

روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، والحسن بن أحمد بن مخلدي، وأبي الحسين الخفاف، وأبي بكر بن هانئ، وأبي محمد بن روم[5].

من تلاميذه:

(أبو الحسن الواحدي صاحب التفاسير الثلاثة، و أبو سعيد أحمد بن محمد بن على بن نمير الخوارزمي ، عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن على بن محمد القطّان المعروف بأبي معشر الطَّبري ، و أحمد بن خلف الشِّيرازي و أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد الفُرَخرادي، أو الفرخواري الطوسي)[6] وغيرهم؛ بل إن كتاب الثعلبي من أهم مصادر هذه التفاسير المتداولة في زماننا الحاضر؛ لتقدّم زمانه ولما تضمنه تفسيره من علوم جمة مما حث الباحثين إلى الاهتمام به وإبراز قيمته العلمية وما عليه من المآخذ القليلة التي لا تحط من قيمته، وقد كان مجلسه يزدحم بطلبة العلم ازدحامًا شديدًا، شرقًا وغربًا.

قال: تلميذه الواحدي وقد كان يؤتى إليه من أقاصي البلاد ودانيها؛ كي يسمع منه ويتلقى التفسير»[7].

الفرع الثاني: ترجمة الواحدي

الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب «التفسير»، وإمام علماء التأويل من أولاد التّجار[8]، لزم الأستاذ أبا إسحاق

---

(١) طبقات الشافعية لسّبكي ٠٤/ ٥٨.

(٢) طبقات الشّافعية للإسنوي ١٥٩/٠١.

(٣) طبقات المفسرين ٦٦/٠١.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٥٤/١٣.

(٥) سير أعلام النّبلاء ١٧/ص ٤٣٧.

(٦) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٩٠/١-٩٣)

(٧) أرشيف ملتقى أهل التفسير نبذة مختصرة عن تفسير الثعلبي رحمه الله المكتبة الشاملة الحديثة https://al-maktaba.org/book/31871/828#p4

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ٣٤٠/١٨.

الثعلبي وأكثر عنه، ولخّص كتابه واعتمد عليه في نقل آثار التفسير وبالغ في اعتماده عليه حتى إذا قال: «قال المفسرون» فإنه يعنيه غالبًا، مع ذلك كان ذكيًا في نقله، فأعرض عن كثير من تطويل الثّعلبي في سرد الأخبار والقصص والإسرائيليات وجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد، كما استغنى عن نقل كثير من أسانيده، وأخذ علم العربية عن أبي الحسن القهندزي الضرير.

وسمع من: أبي طاهر بن محمش، والقاضي أبي بكر الحيرى، وأبي إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، ومحمد بن إبراهيم المزكي، وعبد الرحمن بن حمدان النصروي، وأحمد بن إبراهيم النجار، وخلق.

حدث عنه: أحمد بن عمر الأرغياني، وعبدالجبّار بن محمد الخواري، وطائفة أكبرهم الخواري.

صنف التفاسير الثلاثة: «البسيط»[1]، و«الوسيط»[2]، و«الوجيز»[3] وبتلك الأسماء سمى الغزالي مؤلفاته الثلاثة في الفقه. ولأبي الحسن كتاب «أسباب النزول»

وكتاب «التحبير في الأسماء الحسنى» و«شرح ديوان المتنبي». وكان طويل الباع في العربية واللغات[4]. وله أيضًا: كتاب «الدعوات»، وكتاب «المغازي»، وكتاب «الإغراب في الإعراب»، وكتاب «تفسير النبي -ﷺ-» وكتاب «نفي التحريف عن القرآن الشريف».

قال عنه شيخ الإسلام: وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية وهو أبصر من صاحبه..[5].

قال عنه الذهبي: إمام علماء التاريخ والرجال والتراجم والسّير فقد مدحه بقوله: «الإمام، العلامة... المفسر أحد من برع في العلم، رأس في العربية واللغات طويل الباع في اللغة أوحد عصره تصدّر للتّدريس مدة، وعظم شأنه»،[6] قال الواحدي عن نفسه: «درست اللغة على أبي

---

(١) أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه حيث طبعته لأول مرة محققا تحقيقا كاملا عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكانت الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ، ثم صورته عدد من دور النشر عن طبعة جامعة الإمام كدار الآثار للنشر، والتوزيع بمصر، وكدار العبيكان، وغيرهما. عدد أجزائه ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس)

(٢) طبعته دار الكتب العلمية -بيروت بتحقيق وتعليق كل من الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، في أربعة أجزاء وكانت الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ه-١٩٩٤م، وقد كتب الشيخ عبد العاطي الشرقاوي مقالا نشره موقع مركز تفسير لدراسات القرآنية ينتقد فيه هذه الطبعة، انظر:
https://tafsir.net/article/5126/tb-t-dar-al-ktb-al-lmyt-ltfsyr-al-wsyt-llwahdy-qra-at-nqdyh

(٣) طبعته دار القلم، الدار الشامية -دمشق -بيروت-، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ه بتحقيق الشيخ صفوان داوودي. وطبعته دار اللؤلؤة بتحقيق أبي عبيدة شعبان بن سليم بن سالم العودة من نسخ خطية نفيسة وكتب عليه حاشية.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي(١٧/٣٤١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/٣٥٤.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٣٣٩.

الفضــل أحمد بن محمد بن يوســف العروضي وكان من أبناء التسعيــن، روى عن الأزهري، ولحق السمــاع من الأصــم، وله تصانيف وأخــذت التفسير عن الثعلبي، والنحــو عن أبي الحسن علي بن محمــد الضريــر وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغامضــه، علقت عنه قريبًا من مائة جزء في المشكلات وقرأت القراءات على جماعة»[1].

قال أبو سعد السمعاني: «كان الواحدي حقيقًا بكل احترام وإعظام، لكن كان فيه بسط لسان في الأئمة، وقــد سمعت أحمد بن محمد بن بشار يقــول: كان الواحدي يقول: صنف السلمي كتاب «حقائــق التفسيــر»، ولــو قــال: إن ذلــك تفسيــر القــرآن لكفرتــه. والواحدي معــذور مأجــور، مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد شاخ».[2]

(١) ينظر: تهذيبه في اللغة ص ٣٤٢.

(٢) المرجع السّابق ص ٣٤١.

المبحث الأول: جوانب تأثر الواحدي بالثعلبي

المطلب الأول: الجانب العقدي

إن أولى ما يلزم صرف الاعتناء إليه من أوجه التأثر، الكلام عما في تفسيريهما للآيات المختارة من معاني الاعتقاد ومدى استفادة الواحدي من شيخه، إذ الاهتمام بهذا الموضع أجل والثمرة وراءه أعظم، وقد انتظم الكلام في هذا المطلب على شيء من النقول المفصحة عن رأييهما في مسائل من المعتقد وجلها مما يندرج تحت باب النبوات لكون هذه المسائل مطروقة في هذه الآيات بتوسع فاخترنا من كلامهما ما يبرز مقصدنا من البحث وبيانه كالآتي:

تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المائدة:١٣].

قال الثعلبي رحمه الله:«﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد، وبيان نعته»[١]

قال الواحدي رحمه الله: «قال ابن عباس: تركوا نصيبًا مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد»[٢].

ذكر الثّعلبي في هذا الموضع كلامًا يطابق ما نقله الواحديّ عن ابن عباس مما يشعرنا بكون الثّعلبي إنَّما ذكره بمعناه ولم يصرِّح بنقله، ومما يفيدنا أيضًا أنَّ الواحدي نقل عن شيخه هذا التفسير مع عزوه إلى قائله بالأصالة، فتكون هذه السمة ميزة للواحدي.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المائدة:١٤].

قال الثعلبي رحمه الله: «فقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: يعني: بين اليهود، والنصارى وقال الربيع: هم النصارى وحدها»[٣]

قال الواحدي: «واختلفوا في الضمير الذي في ﴿بَيْنَهُمُ﴾، فقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: الضمير يعود على اليهود والنصارى. وقال الربيع: يعود على النصارى خاصة. وذلك لما بين فِرَق النصارى من الاختلاف والعداوة. وهذا اختيار الزجاج»[٤]

---

(١) الكشف والبيان (٢٣٦/١١)

(٢) التفسير البسيط (٣٠٤/٧)

(٣) الكشف والبيان (٢٣٨/١١-٢٣٩).

(٤) التفسير البسيط (٣٠٩/٧).

نقل التلميذ في بيان هذا اللفظ نصَ شيخه بتمامه ولم يغير فيه شيئًا مما يبرز لنا جليًا مدى تأثره به إلا أنه زاد عليه ذكر اختيار الزجاج في الآية وجملة تفسيرية يبين فيها سبب كون الآية مقصودا بها النصارى فحسب.

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المائدة:١٦].

قال الثعلبي رحمه الله:» ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتوفيقه وهدايته وإرادته ومشيئته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾»[1]

قال الواحدي: «قال ابن عباس: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. اه.

وذلك أن الكُفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويُهتدى بالإيمان إلى النجاة كما يُهتدى بالنور. وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِ﴾. أي: بتوفيقه وإرادته»[2]

هذا الشاهد يطابق تمام المطابقة الموضع الأول الذي ذكرناه في هذا المطلب مما يدفعنا إلى القول بأن هذه الطريقة منهج لدى الواحدي رحمه الله، وهب أنه ذكر مثل عبارة الثعلبي معزوة إلى قائلها وهو ابن عباس رضي الله عنهما ثم بين وجه التشبيه بين الحق والباطل والنور والظلمات بجملة ثم عاد فذكر قريبًا من كلام الثعلبي في بيان معنى بإذنه.

تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة المائدة:١٧].

قال الثعلبي:» أي: من يطيق أن يدفع من أمر الله شيئًا، فيرده إذا قضاه، وهو من قول القائل ملكت عن فلان أمره، إذا صار لا يقدر أن ينفذ أمرًا إلا به»[3]

قال الواحدي:» قال الكلبي: فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئًا.

وهذا من قولهم: ملكت على فلان أمره، إذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه إنفاذ شيء من أمره إلا بك، وتقديره: من يملك من أمره شيئًا ..... وفي هذه رد على القدرية، وبيان أنه لو أراد إهلاك

(١) الكشف والبيان (٢٤٠/١١)

(٢) التفسير البسيط (٣٠٣/٧)

(٣) الكشف والبيان (٢٤٠/١١)

النبيين وأهل طاعته أجمعين كان له ذلك»[1]

هـذا الكلام الذي نقله الواحدي عن الكلبي يشبـه كلام شيخه رحمه الله، ثم بعد ذكره هذا النقـل ذكـر معنى يطابق مـا ذكره شيخه، ثـم استقل عن شيخـه بذكر مسألة تنـدرج ضمن باب القضاء والقدر من المعتقد وهي: هل يجب على الله فعل الأصلح؟

فقـد اشتد النزاع فيها بيـن المعتزلة والأشعرية، إذ يقول الأوائـل: نعم، يجب عليه ذلك ولا يمكـن سـواه، فيقولـون بأن الله يجب عليـه أن يفعل بعبـاده كل ما يوصلهم إلى حسـن العاقبة في الآخرة.[2]

وتقـول الأشعرية: بل فعلـه لا يخضع إلا لمشيئته فلو شاء فعل غيـر الأصلح كتعذيب الأنبياء كمـا في هـذا الموضع لصح واستدلـوا له بهذه الآية كمـا ذكر الواحدي رحمـه الله وإن كان أصل استدلالهـم لهذه المسألة من خلال مقالتهم في مسألة التحسين والتقبيح ومقالتهم بنفي الحكمة والتعليل عن أفعال الله، تعالى الله عن ذلك،[3]

أمـا أهـل السنة فقولهم وسط بينهما إذ يقولون: إن الله حكيم عليم كريم لا يفعل إلا بحكمة وعدل ولا يوجب عليه أحد من عباده شيئًا فإنه سبحانه يفعل ما يشاء وفعله لا يخرج عن عدله ومنّه وعلمه وحكمته.[4]

الفوائد المتعلقة بهذا المطلب خاصة:

قلـة تطرقهم لمسائل المعتقد الواردة في الآيات المختـارة إلا على وجه الإيجاز والاختصار الشديد.

جل ما ذكره في هذه الآي متعلق بباب النبوات فقط من أبواب المعتقد خلا المسألة الأخيرة.

اكتفاء الثعلبي بذكر معاني الأقوال غير معزوة إلى قائليها بينما اجتهد الواحدي في عزو كل قول لقائله.

المطلب الثاني: الجانب اللغوي

لقـد برز كل من الإمام الثعلبـي والواحدي في معالجة قضايا اللغـة العربية في تفسيريهما، حيـث كان من المقاصد لديهما إظهـار المسائل اللغوية وبيان مدى تأثيرهـا في كشف المعاني أو الترجيـح بيـن الأقـوال، وقد كان لكل منهمـا القدم العالي فـي اللغة والنحو مـع اشتهار الواحدي بالاهتمـام اللغوي أكثر ممـا يلاحظ من خلال النقول الآتية، وقد أردنا في هذا الباب إيراد ما يتم

(١) التفسير البسيط (٣١٤/٧)

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١٩٦/١)

(٣) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٨٩)

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٧/٦)

بـه المراد من غيـر استيعاب سائر مسائل اللغـة التي يظهر منها جانب التأثـر من كلامهما فهي كثيرة جدًا، ورتبنا المادة في هذا المطلب على النحو الآتي:

النقل من كلامهما ما يخدم موضوع البحث ويبرز حقيقة تأثر التلميذ بشيخه.

التنبيه على موضع الشاهد من النقول.

بيان ما تميَّز به كل منهما عن الآخر في الجانب اللغوي.

إتباع آخر المطلب بأبرز النتائج المختصة بالجانب اللغوي فحسب.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [سورة المائدة:١].

قال الثعلبي رحمه الله: «﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ قال الأخفش: هو نصب على الحال، يعني: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، وفيه معنى النَّهي. وقال الكسائي: هو حال من قوله ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ كما تقول: أحل لكم الطَّعام، غير مفسدين فيه»[1]

قـال الواحدي رحمه الله:» وقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾. انتصب (غيرَ) على الحـال من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم﴾ كما تقول: أحل لكم الطعام غير مفسدين فيه وقال الفراء: هـو مثـل قولك: أحل لك هذا الشيء لا مفرطًا فيه ولا متعديًا، فإذا جعلت (غيرَ) مكان (لا)، صار النصب الذي بعد (لا) في (غير)»[2]

نلاحـظ في هذا النقـل استفادة واضحة حيـث تطابقت العبارة، كما يظهـر اختلافهما في النقـل عـن أهل اللغة فالثعلبي ينقل في هـذا الموضع عن الأخفش والكسائـي والواحدي ينقل عن الفراء.

تفسيـر قولـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [سورة المائدة:٢].

قال الثعلبي رحمه الله:» والإشعار: العلامة، ومنه الحديث حين شج عمر بن الخطاب: أشعر أمير المؤمنين دمًا، كأنه أعلم بعلامة، وهي على هذا القول فعيلة، بمعنى مفعلة.

قال الكميت:

ونقتلهم جيلًا فجيلًا تراهُمُ ... شعائر قربانٍ بهم يتقربُ»[3]

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي (١١٦/١١)

(٢) التفسير البسيط (٢٢٢/٧)

(٣) الكشف والبيان (١٢٠/١١)

قال الواحدي رحمه الله:» الشعائر واحدتها: شعيرة، وهي فعيلة بمعنى مُفْعَلَة، والمُشْعَرة: المُعْلَمة، والإشعار: الإعلام من طريق الإحساس، والشعر: العلم من طريق الحس. ذكرنا ذلك في أول البقرة.

وكل شيء أُعلِم فقد أشعر، ومنه السنّة في إشعار الهدي، هذا معنى الشعائر في اللغة، ثم كل شيء جُعل علماً على شيء، أو أعلم بعلامة جاز أن يُسمّى شعيرة.

والهدي التي تهدى إلى مكة تسمى شعائر؛ لأنها مُشعَرةٌ بالدم، ومنه قول الكميت:

نُقَتّلهم جيلًا فجيلًا تراهم ... شعائرَ قُربانٍ بهِم يُتَقَرَّبُ »[1]

يبرز من خلال هذا النقل -زيادة على استفادة الواحدي من شيخه اختصاصه ببعض المعاني واستقلاله بطريقة فذة في الطرح، حيث قصد كل منهما إلى بيان معنى الشعائر فأوجز الثعلبي في العبارة وأتى على المراد أما الواحدي فزاد على مطلق المعنى شيئًا من التقعيد له حيث قال: "كل شيء جُعل علماً على شيء، أو أعلم بعلامة جاز أن يُسمّى شعيرة" ولعل مثل هذا النقل جلي يبرز لنا طبيعة الكتابين ومقصود مؤلفيهما.

تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة:٣].

قال الثعلبي رحمه الله: «﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطحها صاحبتها فتموت، وهاء التأنيث تدخل في الفعيل بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو لحية دهين، وعين كحيل، وكف خضيب، وإنما أدخل الهاء هنا؛ لأنَّ الاسم لم يتقدمها، فلو أسقط الهاء منها لم يُدر أهي صفة لمؤنث، أو مذكر؟ والعرب تقول: لحية دهين، وعين كحيل، وكف خضيب، فإذا حذفوا الاسم، وأفردوا الصفة أدخلوا الهاء، فقالوا: رأينا كحيلة، وخضيبة، ودهينة، وأكيلة السبع، فأدخلوا الهاء، مثل: الذبيحة، والنسيكة» [2]

قال الواحدي رحمه الله:» قال العلماء من النحويين: إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها، فإذا لم تذكر الموصوف وذكرت الصفة موضع الموصوف فقلت: رأيت قبيلة بني فلان بالهاء؛ لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة، فعلى هذا إنما أدخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لمؤنث غير مذكور وهي الشاة»[3]

---

(١) التفسير البسيط (٢٢٣/٧)

(٢) الكشف والبيان (١٣٤/١١)

(٣) التفسير البسيط (٢٤٣/٧)

هـذا النقـل كذلك يبرز لنـا جانب التأثر حيـث نسب الواحـدي هذا القول إلـى العلماء من النحوييـن وهـو نفس قول شيخه الثعلبي، فلا ندري أعناه بقولـه أم لا، ولكن قد ذكر الواحدي قبل هذا أقوالًا لأهل اللغة بينما اقتصر الثعلبي في تفسير هذه اللفظة على ما نقلنا من كلامه مما يبرز لنـا قصد الواحـدي استيعاب أقوال العلماء فـي مسائل اللغة مع الترجيح، بخـلاف الثعلبي الذي يظهـر مـن صنيعه قصْد الاقتصار على المهم عنده والراجـح من كلام أهل اللغة من غير إسهاب ولا توَّسُع.

قـال الثعلبي رحمه الله: «﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ ٱلنُّصُبِ﴾ قال بعضهم: هو جمع، واحدها نصاب، وقيل: هو واحد، وجمعه أنصاب مثل عنق، وأعناق»[1]

قال الواحدي رحمه الله:» وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ ٱلنُّصُبِ﴾.

النصـب: جمع نِصاب مثل: حِمار وحُمُر، وجائز أن يكون واحدًا وجمعه: أنصاب، مثل: طُنُب وأطنـاب. قالـه الزجاج وابـن الأنباري (قـال أبو بكر): ويجـوز أن يكون النصب جمـع نَصْب في الواحد، مثل: سَقْف وسُقُف، ورَهْن.

وقال الليث: النصب جماعة النصيبة، وهي علامة تنصب للقوم

الأزهري: وقد جعل الأعشى النصب واحداً فقال:

وذا النُّصبَ المنصوبَ لا تنسُكَنّه ... لعاقبةٍ واللّه ربَّكَ فاعبُدا

هذا قول أهل اللغة.»[2]

هـذا النقـل كذلك يقوِّي ما بيَّناه مـن اختصاص الواحدي ببعض العمق فـي معالجة مسائل اللغة حيث ذكر عددًا من الأقوال في هذا الموضع وعزاها إلى أصحابها، بينما اكتفى الثعلبي بنقل قولين فحسب ومن غير عزو.

قـال الثعلبـي: «﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ يعني: أن ترجعوا إلَـى دينهم كفارًا، وفيه لغتان، يقال: يئس، ييأس يأسًا، وأيس، يأسي، إياسًا، وإياسة، قاله النضر بن شميل»[3]

فـي هـذا الموضع لم نجد في كلام الواحدي إشارة إلى هـذه القضية، مما حملنا على إيراد هذا النقل لبيان أن للثعلبي كذلك اختصاصًا عن تلميذه في بعض مسائل اللغة وإن كان ذلك نادرًا إذ غالب ما يذكره من مسائل اللغة يذكره بعده الواحدي ويزيد عليه.

قـال الثعلبـي:» ويقال: رجل خميص البطـن، إذا كان طاويًا خاويًا، ورجـل خمصان، وامرأة خمصانة، إذا كانا ضامرين، هضيمي البطن، والخمْص، والخمَص الجوع، قال الشَّاعر:

---

(١) الكشف والبيان (١٤٢/١١)

(٢) التفسير البسيط (٢٤٨/٧)

(٣) الكشف والبيان (١٤٩/١١)

يرَ الخمص تعذيبًا وإن يلق شَبعةً ... يَبِتْ قلبه من قلة الهم مبهما»[1]

قال الواحدي:» وقال أهل اللغة: الخَمْص والمَخْمَصَة: خلاء البطن من الطعام جوعًا وأنشدوا:

يرى الخُمص تعذيبًا وإن يلق شِعبةً ... يَبِتْ قلبُه من قلة الهمّ مُبْهَمَا

وأصله من الخَمص الذي هو ضمور البطن، يقال: رجل خَميص وخُمصان، وامرأة خَميصة وخُمصانة، والجمع خمائص وخُمصانات، قال الأعشى:

تبيتُون في المشتَى مِلاءً بُطونُكم ... وجاراتكم غَرثَى يَبِتْن خَمَائِصا»[2]

نلاحظ هنا شبه تطابق فيما أورداه الثعلبي في بيان معنى قوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾، وهذا كذلك من شواهد التأثر في هذا الموضع، ويجري هذا النقل على غير ما اعتدنا من كلامهما حيث نرى في غيره من المواضع توَّسعًا عند الواحدي لا نجده عند شيخه.

فهذه النقول السالفة كافية في بيان تأثر الواحدي بشيخه مع شيء من الاستقلال كما قد سبق، وذلك أننا لو رمنا حصر جميع موارد التشابه والاستفادة لطال هذا المطلب جدًا، ولكن قصدنا التنبيه من خلال نقول يسيرة مختصرة على ما قررناه موضوعًا لهذا البحث.

أبرز نتائج المطلب:

اتفاق كل منهما في أبرز المسائل اللغوية المذكورة.

تميز الثعلبي بالاختصار والإتيان على المهم من الأقوال من غير استيعاب.

تميز الواحدي باستيعاب الأقوال وقصد الإتيان على غالب ما قاله أهل اللغة من غير إغراق في مسائل لغوية بحتة تذهب بالمقصود من كتابه وهو تفسير كلام الله.

حسن إيراد الواحدي المسائل اللغوية مع وضوح العبارة بينما يقتصر الثعلبي غالبًا على ذكر المسائل مجملة في أول كلامه على الآيات.

عزو الواحدي الأقوال إلى أصحابها في أغلب المواضع بينما يقل ذلك عند الثعلبي حيث يكتفي غالبًا بالإشارة إلى الخلاف مع بيان ما يراه قويًا.

ظهور موسوعية كل منهما في اللغة مع شيء من الاختصاص لدى الواحدي في معرفة كلام أهل اللغة.

بروز الاهتمام بجانب الصرف والاشتقاق في بيان معنى اللفظة القرآنية.

---

(١) الكشف والبيان (١١/١٥٤)

(٢) التفسير البسيط (٧/٢٥٨).

المطلب الثالث: الجانب الحديثي

فمن الجوانب التي سنسلط الضوء عليها -إن شاء الله في بحثنا هذا جانب التأثر الحديثي، وسنجعل ذلك في عدة نقاط تبرز هذا الجانب مع التمثيل عليها وهي كالتالي:

١ مما يُذكر للواحدي ويُحمد عليه أنه صان تفسيره عن ذكر حديث فضائل السور الموضوعة على أُبي بن كعب -رضي الله عنه الذي يذكره الثعلبي في أوائل كل سورة[١].

٢ لم يتقيد الواحدي بما يذكره شيخه الثعلبي من المرويات الحديثية فقد يترك أحاديث ذكرها شيخه في تفسير الآية، ولعل ذلك يرجع إلى قلة الرواية في تفسيره البسيط بالنسبة إلى تفسير شيخه، وقد يذكر أحاديث لم يوردها شيخه تحت تفسير الآية.

فمثال على الأول:

أن الثعلبي ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سألنا رسول الله ﷺ عن الجنين، فقال: «ذكاته ذكاة أمّه»[٢].

وهذا الحديث ساقه الثعلبي كالمؤيد لتفسير ابن عباس -رضي الله عنهما في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وأن بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين، فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال: هذا من بهيمة الأنعام التي أُحِلَّتْ لَكُمْ[٣].

٣ أن الواحدي لم يسر على ما سار عليه شيخه من ذكر الأحاديث بأسانيدها، ولعله رام من ذلك الاختصار، كما أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره بقوله: (سالكٌ نهج الإعجاز في الإيجاز)[٤].

ومن أمثلة الأحاديث التي ساقها الثعلبي بإسناده واختصرها الواحدي فاقتصر على الصحابي فقط حديث أبي الدرداء رحمه الله الذي ساقه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: ٣] فقال: وقد روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة»[٥].

وهذا الحديث ساقه الثعلبي بإسناده فقال:

أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال ثنا الحسن بن داود الخشاب ثنا سويد بن سعيد، ثنا أبو المحياة، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء

---

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٤/٥.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٢٧) عن ابي سعيد، وبرقم ٠(٢٨٢٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كتاب الذبائح (باب ما جاء في ذكاة الجنين)

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) التفسير البسيط (٤٢٦/٧)

(٥) المرجع السابق (٢٥٣/٧)

قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة»[1] [2].

المطلب الرابع: الجانب الفقهي

إنّ من أصول تفسير كلام الله الكريم بيانَ ما تفيده آياتُه من الأحكام العمليَّة، والسعيَ عند الخلاف إلى بيانِ وجه الصَّواب والترجيحِ بين الأقوال المتواردة على نفس المحلِّ على وجه التَّعارض والتَّضاد، وقد كان لكلٍّ من الثعلبيِّ والواحديِّ اهتمامٌ بالغٌ بهذه المعاني وبتأصيلِ الخلاف الفقهيِّ وما التحق بذلك من الترجيح مما يُعدُّ ميزةً نفيسةً مشتركةً بين هذين العَلَمين، وقد قصدنا في هذا الموضع إبرازَ التأثّرِ الواضحِ للواحديِّ بشيخه وانتظم ذلك إزاء الترتيب الآتي:

النقل من تفسيريهما ما يصلح شاهدًا للتأثُّر على وجه الاختصار ضمن الحدود المقرّرة في البحث.

التعليق بما يقتضيه المقام على كلامهما قصدًا لإبراز أوجه التأثُّر الفقهيِّ في تفسيريهما.

بيان بعض النتائج المختصَّة بالجانب الفقهيِّ.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤].

تفسير لفظ الجوارح:

قال الثعلبيّ رحمه الله «واختلفوا فِي هذِه الجوارح التي يحلُّ صيدها بالتعليم، ما هي؟

فقال ابن عمر[3]، والضَّحَاك، والسدي: هي الكلاب، دون غيرها، فأما ما صاد غير الكلاب، فما أدركت ذكاته فهو لك، وإلا فلا تطعم.

وهذا غير معمول به،

وقال سائر العلماء: هي الكواسب من سباع البهائم، والطير، مثل النمر والفهد، والكلب، والعقاب، والصقر، والبازي، والشاهين، والباشق، ونحوها مما يقبل التعليم

سميت جوارح، لجرحها أربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم، ولا جارحة لفلانة، إذا لم يكن لها كاسب،»[4]

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٢٦٦٣) تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين القاهرية. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٨/٥): «رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات»

(٢) الكشف والبيان (١٤٨/١١)

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن نافع به. مصنف عبد الرزاق (٨٥٢٠) المكتب الإسلامي-بيروت-

(٤) الكشف والبيان (١٦٩/١١)

قال الواحديّ رحمه الله «وأما الجوارح: فهي الكواسب من الطير والسباع ذوات الصيد، والواحدة جارحة، والكلب الضاري جارحة، سميت جوارح؛ لأنها كواسب أنفسها، من: جرح واجترح، إذا اكتسب.

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الطير تصيد، والكلاب، والفهود، وعناق الأرض وسباع الطير[1]، مثل: الشاهين والباشِق والعقاب والزُّمَّج، فما اصطادت هذه الجوارح فقتلته فهو حلال. وقال ليث: سئل مجاهد عن الصقر والبازي والفهد وما يَصطاد من السباع؟ فقال: هذه كلها جوارح.

وهذا قول جميع المفسرين إلا ما روي عن ابن عمر والضحاك أنهما قالا: الجوارح الكلاب دون غيرها، وما صاد غير الكلاب فلم يدرك ذكاته لم يحل أكله. ومثل هذا يروى عن السدي أيضًا، وهو قول غير معمول به»[2]

نلاحظ من كلامهما تطابقًا في العبارة، بل حتى في عزو الأقوال وحكايتها، وقد اتفقا على تفسير الآية بهذا المعنى ورجحاه بكونه منقولًا عن سائر العلماء والمفسرين وجعلوا قول المعارض فيها قولًا شاذًا مخالفًا لما عليه السواد الأعظم فظهر كذلك اتفاق بينهما في وجه الترجيح.

الكلام على المعلم من الجوارح في الآية ما هو؟:

قال الثعلبيّ رحمه الله « والمعلم من الجوارح الذي يحل صيده هو أن يكون إذا أرسله صاحبه، وأشلاه استشلى، وإذا أخذ أمسك، ولم يأكل، وإذا دعاه أجابه، وإذا أراده لم يفر منه، فإذا فعل ذلك مرات، فهو معلَّم ومتى كان بهذا الوصف واصطاد جاز أكله، فإذا أمسك الصيد، وقتله، ولم يأكل منه جاز أكله، وكان حلالًا، فإن أكل منه فللشافعي فيه قولان:

أحدهما: أنَّه لا يحل، ولا يؤكل، وهو الأشهر، والأظهر من مذهبه، لأن الله تعالى قال: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ ٤﴾ وهو لم يمسك علينا، وإنما أمسكه على نفسه، وهذا قول ابن عباس، وطاوس، والشعبي، وعطاء، والسدي.

قال ابن عباس: إذا أرسلت الكلب وأكل من صيده، فهو ميتة، لا يحل أكله؛ لأنه سبع أمسكه على نفسه، ولم يمسك عليك ولم يتعلم ما علمته فاضربه، ولا تأكل من صيده. ويدل عليه: ..... عن عدي بن حاتم أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن الصيد، فقال: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أدركته لم يقتل فاذبح، واذكر اسم الله، وإن أدركته قد قتل، ولم يأكل فكل، فقد أمسك عليك، وإن وجدته وقد أكل منه فلا تطعم منه شيئًا، فإنما أمسك على نفسه»[3]

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٤٨/٩)،

(٢) التفسير البسيط (٢٦٣/٧)

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٨٦٥٤) تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكتبة الباز مكة المكرمة سنة ١٩٩٤م.

والقول الثاني: أنَّه يحل، وإن أكل، وهو قول سلمان الفارسيّ، وسعد بن أبي وقَّاص، وابن عمر، وأبي هريرة ..... ولا فرق فِي جملة ما ذكرنا بين الطيور المعلمة والسباع المعلمة »[1]

قال الواحديّ رحمه الله «قال العلماء: وصفة الكلب المعلم الذي يحل صيده هو أن يكون إذا أرسله صاحبه وأشلاه استشلى، وإذا أخذ الصيد أمسك ولم يأكل، وإذا دعاه أجابه، وإذا أراده لم يفرّ منه، فإذا فعل ذلك مرات فهو معلم ..... قال العلماء: إذا كان الضاري وهو الكلب معلمًا كما وصفنا، ثم صاد صيدًا فجرحه وقتله وأدركه الصياد ميتًا: فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح، وكذلك الحكم في سائر الجوارح المُعلَّمة، ..... هذا كله إذا لم يأكل، فإن أكل منه فقد اختلف فيه العلماء:

فعند ابن عباس وطاوس والشعبي وعطاء والسدي: أنه لا يحل ولا يؤكل.

قال ابن عباس: إذا أرسلت الكلب فأكل من صيده فهو ميتة، لا يحل أكله؛ لأنه أمسكه على نفسه ولم يمسك عليك، ولم يتعلم ما علمته، فاضربه ولا تأكل من صيده.

وهذا هو الأشهر والأظهر من مذهب الشافعي، ويدل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أدركته لم يقتل فاذبح واذكر اسم الله، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل فكل، فقد أمسك عليك، وإن وجدته وقد أكل منه فلا تطعم منه شيئاً فإنما أمسك على نفسه».

وعند سلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة أنه يحل وإن أكل وهو أحد قولي الشافعي ولا فرق فيما ذكرنا بين الطيور المعلمة والسباع المعلمة»[2]

يظهر في هذا الموضع كذلك تأثير الثعلبي في تفسير الواحدي من خلال التطابق في التفسير والنقل مع شيء من الاختلاف اليسير بينهما وكذلك اتفقا على بيان وجه كل قول من جهة الأدلة فنقلا الحديث نفسه مما يقرر ما قصدنا بيانه من خلال البحث، إلاَّ أننا نلاحظ أن هذا المثال يفارق سابقه في كونهما لم يرجحا بين القولين ترجيحًا صريحًا وإنما اكتفيا بنقل الأقوال وعزوها والاستدلال لها.

وانظر صحيح البخاري (٥٤٨٤) و (٥٤٨٦)

(١) الكشف والبيان للثعلبي (١٧١/١١)

(٢) البسيط للواحدي (٢٦٨/٧)

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [سورة المائدة:٦].

الكلام على القدر الواجب من المسح على الرأس:

قال الثعلبي رحمه الله «﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ واختلف الفقهاء في قدر الواجب من مسح الرأس:

فقال مالك[١]، والمزني: مسح جميع الرأس في الوضوء واجب وجعلا الباء بمعنى التعميم، كقوله: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾، وقوله: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾.

وقال أبو حنيفة[٢]: مسح ربع الرأس واجب

وقال أبو يوسف: نصف الرأس

وقال الشَّافعيّ: يجوز الاقتصار على أقل من ربع الرأس، فإذا مسح مقدار ما يسمى مسحًا أجزأه[٣]، واحتج بقوله ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾، وله في هذه الآية دليلان:

أحدهما: أنَّه مهما مسح بعض رأسه، وإن قل، فقد حصل من طريق اللسان ماسحًا رأسه، فصار مؤديًا فرض الأمر.

والثاني: أنَّه قال في العضوين اللذين أمر بتعميمها بالطهارة ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ وأطلق الأمر في غسلهما، وقال في الرأس: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ فادخل الباء للتبعيض، كقول القائل: مسحت يدي بالمنديل، وإن كان مسح بعضه»[٤]

قال الواحدي رحمه الله:» والظاهر من مقتضى الآية أن التعميم لا يجب في مسح الرأس، وأنه غير محدود أيضًا، وهو مذهب الشافعي -رحمه الله؛ لأنه إذا مسح البعض وإن قل، فقد حصل من طريق اللسان ماسحًا، ولا يلتفت إلى قول من قال: إن الباء توجب التعميم؛ لأن ذلك لا يعرفه أهل النحو، بل الباء للإلصاق»[٥]

---

(١) عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار لابن القصار المالكي (١٦٢/١) تحقيق د. عبد الحميد بن سعد بن ناصر السعودي سلسة الرسائل الجامعية-٦٠ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠٠٦م

(٢) تحفة الملوك (في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) (ص٢٦) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) د. عبد الله نذير أحمد دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤١٧هـ

(٣) الأم للشافعي (٥٧/٢) تحقيق رفعت عبد المطلب دار الوفاء ودار ابن حزم بيروت، ط٤ سنة ٢٠١١م

(٤) الكشف والبيان (١٩٢/١١)

(٥) البسيط (٢٨١/٧)

هذا الموضع فيه الاستفادة الواضحة من كلام الثعلبي، إلاَّ أنّه تميَّز عن تلميذه فيه باستيعاب أشهر الأقوال ونسبتها إلى قائليها، بينما اقتصر الواحديُّ على ما ترجَّح عنده وصدَّر كلامه بقوله «الظاهر من مقتضى الآية..» وهذا من صيغ التقوية الجليّة، وهو ذاته مذهب الإمام الشافعيِّ، ولعلَّه حصّل مذهبه واستدلاله عليه في هذا الموضع من كلام شيخه الثعلبي لوضوح التقارب بين كلامهما.

الكلام على وجوب غسل الرجلين في الوضوء:

قال الثعلبي رحمه الله «فالدليل على وجوب غسل الرجلين في الوضوء قول الله تعالى ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فتحديده بالكعبين دليل على الغسل، كاليدين لما حدَّهما إلى المرفق كان فرضهما الغسل، دون المسح»

قال الواحدي رحمه الله «والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل: ذكر التحديد وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ والتحديد إنما جاء في المغسول، ولم يجيء في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد»

لعلَّ هذا النقل من أجلّ ما يبرز تأثر الواحدي بشيخه، حيث كاد أن يتطابق كلامهما لولا شيء من التصرف في العبارة من قبيل التلميذ.

الكلام على متعلق التطهير في الآية:

قال الثعلبي-رحمه الله «﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والجنايات والذنوب والخطيئات»[1]

قال الواحدي رحمه الله «قال المفسرون: يريد ليطهركم من الأحداث والجنايات والذنوب والخطيئات»[2]

هذا نقل مباشر من تفسير الثعلبي إلا أن الواحدي لم يصرح باسمه، وحيثما قال في البسيط «قال المفسرون» فإنه يعني بذلك شيخه.

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة المائدة:٣٣].

الكلام على سبب نزول الآية وما تعلق به من الأحكام:

قال الثعلبي رحمه الله «عن سعيد بن جبير: نزلت في ناس من عرينه، وعكل، أتوا رسول الله، وبايعوه على الإسلام، وهم كذبة وليس الإسلام يريدون، ثم قالوا: إنَّا نجتوي المدينة، فقال

(١) الكشف والبيان (٢٢١/١١)

(٢) التفسير البسيط (٢٨٦/٧)

النَّبِـيّ: «اخرجـوا إلى لقاحنا، فاشربوا مـن أبوالها وألبانها»[1]، فذهبوا فقتلـوا الرعاة، واستاقوا الإبـل، وارتـدوا عن الإسلام فنودي في النَّاس: يَا خيل الله اركبـي، فركبوا لا ينتظر فارس فارسًا، فخرجوا في طلبهم، فجيء بهم، فأمر رسول الله بقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرة حتَّى ماتوا.

ثم اختلفوا في حكم حديث العرنيين:

فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز، وشرب بول الإبل لا يجوز.

وقال آخرون: حكمه ثابت إلَّا السمل والمثلة.

وقـال الليـث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبة لرسـول الله، وتعليمًا منه إياه عقوبتهم، فقال: إنما جزاؤهم هذا، لا المثلة، فلذلك ما قام رسول الله خطيبًا إلَّا نهى عن المثلة»[2]

قـال الواحـدي رحمه الله «قال ابن عباس في رواية عطاء وسعيـد بن جبير: نزلت هذه الآية فـي قصـة العُرَنِيّين وهي معروفة. فإن قيل: فكيف لم يعذبوا بما في الآية، وفي حديثهم أنهم سُمِل أعينهـم وقُطِّعـت أيديهـم وأرجلهم، وليس فـي الآية سمل الأعيـن وقطع جميع الأيـدي والأرجل؟ والجـواب: مـا حكي عن الليث بن سعـد أنه قال: نزلت هـذه الآية معاتبة لرسـول الله وتعليمًا إياه عقوبتهـم، فقيل: إن جزاءهم ما ذكر في الآيـة، لا المُثلة، فلذلك ما قام رسول الله خطيبًا إلا نهى عن المُثلة.

ويمكـن أن يقال: ما فعله رسـول الله كان هو الحد فيهم بالسنة، فلما نزلت الآية صارت تلك السنة منسوخة بالقرآن. هذا إذا جوزنا نسخ السنة بالقرآن.

وإن قلنـا: لا تُنسـخ السنة بالقرآن -وهو الأصح من مذهب الشافعي رضي لله عنه فتلك إنما نُسِخـت بسنـة أخرى من عنده، فنسخت الثانية الأولى. وهذا أيضًا قول سعيد بن المسيب والسدي فِي نزول الآية»[3]

فـي هذا النقل استفادة كذلك إلاَّ أنّ فيه شيئًا من الاختصاص بالنسبة لهما، حيث اتَّفقا في الجملة على حكاية الخلاف في الآية من حيث النسخ من عدمه واختص كل واحد منهما بما يلي:

أوجه تميز كل واحد منهما عن الآخر في هذا الموضع:

الثعلبي	الواحدي
ذكر الأقوال وعزوها	الاقتصار على إجماله الأقوال

(١) انظر صحيح البخاري (٢٣٣) كتاب الوضوء (باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها) ومسلم (١٦٧١) في القسامة والمرتدين (باب حكم المحاربين والمرتدين)

(٢) الكشف والبيان (٢٩٦/١١)

(٣) التفسير البسيط (٣٥٧/٧)

ذكر سبب النزول بطوله	الإشارة إلى الخلاف الأصوليِّ في جواز نسخ السنَّة بالقرآن الكريم
	طيّ ذكر سبب النزول والاكتفاء بالإشارة إليه.
	ذكر إشكال طارئ في سبب النزول والإجابة عنه.
	ذكر مذهب الشافعي في المسألة.

الكلام على الحد أهو على التخيير أم أنَّ لكل درجة من الجناية ما يقابلها من العقوبة؟:

قال الثعلبي -رحمه الله-»:﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴿٣٣﴾﴾ اختلفوا في حكم الآية:

فقال قوم: الإمام فيهم بالخيار، وأي شيء من هذه الأشياء شاء فعل، وهو قول الحسن، وسعيد بن المسيّب، والنخعي، ومجاهد، ورواية الوالبي عن ابن عباس، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾، وبقوله في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ الآية.

وقال آخرون: هذا حكم مختلف باختلاف الجناية، فإن قَتل، وإن قَتل وأخذ المال صُلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قُطع، وإن أخاف السبيل ولم يقتل، ولم يأخذ المال نُفي، وهذا قول سعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، والقرظي، والربيع، ورواية العوفي عن ابن عباس»[1]

قال الواحدي -رحمه الله-» وقوله تعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ اختلفوا في حكم (أو) ههنا،

فقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: إن (أو) دخلت للتخيير، ومعناها الإباحة، أي: إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، أي شيء من هذه الأشياء شاء فعل. وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد.

وقال في رواية عطية: (أو) ليست للإباحة، وإنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجناية .... وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والسدي والقرظي والربيع، ورواية عطاء عن ابن عباس أيضًا.

قال الشافعي: ويحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه، ويصلب ثلاثًا ثم ينزل ... قال الشافعي: ومن وجب عليه القتل دون الصلب: قتل ودفع إلى أهله يدفنونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل: قطعت يده اليمنى ثم حسمت، ثم رجله اليسرى،

(١) الكشف والبيان (٢٩٨/١١)

ثم حسمت في مكان واحد، ثم خُلّي، وذلك معنى قوله: ﴿ مِّنۡ خِلَٰفٍ ﴾ [1] [2]

يعجب القارئ من حسن إيراد الثعلبيِّ لهذه الأقوال معزوةً إلى أصحابها مع ذكر بعض أدلّتهم بما يناسب المقام ولا يفوِّت المقصود من وضع الكتاب، فلا جرم أن يستفيد منه من بعده ويأخذ عنه هذه الطريقة الدالَّة على علوِّ كعب هذا الإمام في العلم، وهذا النقل يبرز لنا حسن استفادة الواحدي من شيخه حيث أخذ عنه الأقوال وعزوها إلى أصحابها وتميَّز عنه في إيراد قول الإمام الشافعي مقوياً مذهب التفريق بين درجات الجناية وما يقابلها من العقوبة.

أبرز النتائج المتعلقة بالجانب الفقهي:

بعد الفراغ من ذكر ما رأيناه كافيًا في تصوير مدى تأثّر الواحدي بشيخه من الناحية الفقهية لاحت لنا بعض النتائج المختصّة بالباب نجملها فيما يأتي:

بروز الانتماء المذهبي لكلٍّ منهما على حدٍّ السواء، فقد ظهر من خلال صنيعهما في التفسير قصد إبراز أقوال الإمام الشافعي -رحمه الله-.

بروز بعض الفروق اليسيرة في التعامل مع مسائل الفقه المستفادة من الآيات، حيث غلب على الثعلبي قصد إعطاء كلِّ قول حقَّه من النقل والاستدلال بينما ظهر لدى الواحدي قصد الاختصار والإتيان على قدر الكفاية في عزو الأقوال وبيان أوجه الاحتجاج.

لا يلزم من تأثر الواحدي بشيخه اتّباعه في كلِّ ما يرجحه أو في سائر طريقته في عرض المسائل الفقهية المستفادة من الآيات.

بروز شخصية الواحدي من خلال استقلاله بذكر بعض المسائل المهمّة التي تتأثر بها الفروع الفقهية، كذكره على وجه الاختصار الخلاف الأصولي في جواز نسخ السنة بالقرآن.

بروز موسوعية كل منهما في العلوم الشرعية، فإنهما وإن لم يغلب عليهما مقام الفقه بمعناه الخاص إلا أنهما أبرزا من خلال تفسيريهما ملكتهما للصنعة الفقهية، وإن كان هذا الوجه ممَّا فاق فيه الثعلبيُّ تلميذه ولكلٍّ مجتهد نصيب.

(١) انظر الأم للشافعي (٣٥٨/٧) تحقيق رفعت عبد المطلب دار الوفاء ودار ابن حزم بيروت، ط٤ سنة ٢٠١١م

(٢) التفسير البسيط (٣٥٦/٧)

الخاتمة

تبرز من خلال كتابة هذا البحث النتائج القيمة، سنذكر منها ما يلي:

يعد الإمامان الثعلبي والواحدي من كبار المفسرين، من حيث تأثر كثير من الناس من العلماء والعوام بتفسيرهما.

كان الإمام الثعلبي والواحدي شافعيا المذهب، وأشعريا المعتقد. وقد كثر الكلام في تفسيرهما عن الجانب اللغوي والفقهي، وقل من الكلام عن المسائل العقدية

إذا قال الواحدي: «قال المفسرون في تفسيره»، يقصد شيخه الثعلبي.

المصادر والمراجع

القران الكريم

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ه) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية لسنة ١٤٣٠هـ – سلسلة الرسائل الجامعية تحقيق د. محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان.

سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد، بن عثمان الذهبي (المتوفي: ٧٤٨ هـ) الطبعة الأولي١٤٠٥ه ١٩٨٤م، الناشر مؤسسة الرسالة، وغيرها.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧ م.

طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ..

وطبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدوي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١ هـ) ،١/٦٦ المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان

الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢ م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ)، المحقق: عدنان درويش محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت.

فتاوى الكبرى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ.، المحقق. محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٧م.

المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م

مجموعة فتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ.، المحقق أنور الباز – عامر الجزار الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ. / ٢٠٠٥م.

مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية بيروت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ٣/٣٠٣ المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الطبعة: ١٩٠٠م.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤ه)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م

الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥ه)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٤ م

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ه)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م

الأم للشافعي تحقيق رفعت عبد المطلب دار الوفاء ودار ابن حزم بيروت، ط٤ سنة ٢٠١١م

عيـون الأدلة فـي مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار لابن القصـار المالكي تحقيق د. عبد الحميـد بـن سعد بن ناصر السعودي سلسة الرسائل الجامعية -٦٠ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠٠٦م

تحفـة الملوك (في فقـه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) زيـن الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق د. عبد الله نذير أحمد دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤١٧هـ.

صحيـح البخاري تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.

صحيـح مسلـم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحيـاء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي بيروت)

مصنف عبد الرزاق تحقيـق حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي الهند، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ المكتب الإسلامي-بيروت-

السنـن الكبـرى للبيهقـي تحقيق محمد عبـد القادر عطا. مكتبـة الباز مكـة المكرمة سنة ١٩٩٤م.

المعجم الأوسط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين القاهرية